مجلة جامعة السميط

مجلة محكمة نصف سنوية يصدرها مركز البحوث والدراسات العليا

SUMAIT University Journal (SUJ)

A peer-reviewed biannual journal published by the Center of Research and Postgraduate Studies (CRPS)

ISSN; 2507-7864

السنة السادسة، العدد العاشر، يونيو 2022

Sixth Year, Issue No. 10, June, 2022

مجلة جامعة السميط (SUJ)
ردمد: (2507-7864)
العدد رقم 10 (يونيو 2022)

ظاهرة السحر في تنزانيا: تعريفها، حقيقتها، أسباب انتشارها، أضرارها وعلاجها

الباحث الأول/ عبده أبوالوفا صديق عبدالرحمن
مدرس مساعد بقسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية، شعبة اللغات الإفريقية
كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر – مصر
البريد الإليكتروني:*abwalwfabdh558@gmail.com*

أ.د. يونس عبدلى موسى
أستاذ الدراسات العليا بجامعة عبد الرحمن السميط
مدير مركز البحوث والدراسات العليا
البريد الإليكتروني: abuikrama65@gmail.com

قدمت في1 يانير 2022، قبلت في25 أبريل 2022 ، نشرفي يونيو 2022.
© مجلة جامعة السميط

Abstract

Witchcraft and sorcery are to two of the most ancient practices known to mankind since the beginning of time. The Islamic Sharia addressed this serious phenomenon through the Holy Quran and Prophetic Sunnah. Misconceptions have played a key role in the spread of this phenomenon dangerous as many people resort to witchcraft and sorcerers to find solutions to the crises they go through, which indeed does not solve their troubles but instead exacerbates them further because of the deceit and lying exercised by such sorcerers. This is what made magic a great impact on social life among people throughout the ages and times. Its impact and damage have exceeded any other influence and power, which made some equate it with the strength of religion and belief. The truth is that magical beliefs and demonic actions spread in many popular circles within Tanzanian society, despite the material and moral damage they cause to all spectrums and groups. That is why the subject of magic was one of the important topics that researchers must address with research, writing and authorship in order to show its social reality and its impact on human belief. Witchcraft is a widespread phenomenon in the Tanzanian society, a thing which is attributable to multiple reasons. Therefore, we study tackles this phenomenon in order to identify the major motives and reasons that make the Tanzanians resort to witchcraft and sorcery.

Key words: Magic, sorcery, causes of spread, damages and effects, Tanzanian society, treatment, The Sunnah of the Prophet, belief

الملخص

ظاهرة السحر والشعوذة من أقدم الممارسات التي عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ، والشريعة الإسلامية تطرقت لهذا الداء الخطير من خلال القُرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ولقد أدت الأفكار الخاطئة دوراً أساسياً ومهماً في انتشار هذه الظاهرة الخطيرة؛ حيث يلجأ كثير من الناس إلى السحر والسحرة لعلاج المشكلات أو الأزمات التي يمرون بها، ولكنه في حقيقة الأمر يزيد من تفاقمها بسبب كذب وتضليل وخداع هؤلاء السحرة. وهذا بالفعل ما توصل إليه الباحث في أن للسحر تأثير كبير في الحياة الاجتماعية بين الناس على مر العصور والأزمنة، وقد تجاوز تأثيره وضرره أي تأثير وقوة أخرى، الأمر الذي جعل البعض يساوون بينه وبين قوة الدين والعقيدة. بالإضافة كذلك إلى أن المعتقدات السحرية والأفعال الشيطانية تنتشر في الكثير من الأوساط الشعبية داخل المجتمع التنزاني، على الرغم مما تسببه من أضرارٍ مادية ومعنوية على كافة أطيافه وفئاته. ولهذا كان موضوع السحر من الموضوعات الهامة التي يجب أن يتصدى لها الباحثون بالبحث والكتابة والتأليف من أجل إظهار حقيقتها الاجتماعية وتأثيرها على عقيدة الإنسان. فانتشار ظاهرة السحر وإقبال الناس عليها بطريقة كبيرة في المجتمع التنزاني يعُود لأسباب عديدة، لذا نتناول هذه الظاهرة لمعرفة أهم الدوافع والأسباب التي يلجأ بسببها الأفراد التنزانيون للسحرة والمشعوذين، وأضرار انتشارها وكيفية علاجها من منظور السنة النبوية الشريفة.

كلمات مفتاحية: السحر، الشعوذة، أسباب الإنتشار، الأضرار والآثار، المجتمع التنزاني، المعالجة، السنة النبوية، العقيدة.

مقدمة

إن من البلاء الذي اشتد خطره وعظم أمره في هذا الزمان، هو انتشار السحر والسحرة في العديد من دول العالم. والحقيقة أن ظاهرة السحر والشعوذة هي من أشد وأخطر الأمراض الاجتماعية التي يُصاب بها الناس، فهي من أعظم ما تعرضت له البشرية منذ قديم الزمان. فانتشار السحر هو ظاهرة متوغلة في جميع الأمم والشعوب بدون استثناء، وعلى مر الأحقاب والدهور حتى وقتنا الحاضر، مثله مثل سائر الذنوب والمعاصي والآثام، والتي لن تنتهي إلا بانتهاء البشرية على وجه الأرض وهو من عمل الشيطان كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ سورة الأعراف: 17.

وإذا حاولنا معرفة السبب الرئيسي لهذا التشابه الكبير في مظاهر وأشكال السحر بين كافة الأمم والحضارات السابقة والمعاصرة، نجد أن العامل المشترك هو الإنسان؛ فالإنسان هو العامل المشترك في كل زمان ومكان. وكل إنسان لديه النفس الأمَّارة بالسوء، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة يوسف: 53، والتي تحاول جاهدة أن تهوي بالإنسان إلى أرذل الطرق وأخبثها، تلك الطرق التي نهانا عنها ديننا الإسلامي، وأمرنا بتجنبها والابتعاد عن مساوءها كالسرقة، والكذب، والاحتيال والسحر وغيرها من الفواحش والآثام التي تعصف بالمجتمعات إلى ويلات الأمورالتي تأكل الأخضر واليابس.

بالإضافة كذلك، فإن كل التجارب الحقيقية والواقعية في كافة المجتمعات التي انتشرت بها ظاهرة السحر، تُبرهن وتُؤكد على أن السحر له مفاسد وأضرار جمة، تستدعي من الفرد والمجتمع الوقوف ضدها، فهي لم تعد ظاهرة فردية متخفية، وإنما أصبحت – في كثير من بلدان العالم – ظاهرة تستقطب جميع فئات المجتمع من رجال السياسة والأثرياء والفقراء والجهلة، وأصبح الساحر شخصية لها وزنها بتلك المجتمعات، والكل يخاف ويهاب

منها. ولهذا كان لزاماً علينا التعاطي مع هذا الظاهرة بمزيدٍ من الفاعلية والدراســة، وهو ما يحاول الباحث القيام به من خلال هذا البحث الذي يشــتمل على أربعة محاور؛ حيث يتناول الباحث في المحور الأول مفهوم الســحر وحقيقته وأقوال العلماء حوله بين المثبتين والمنكرين له، مع توضــيح أدلة الفريقين والرأي الراجح بينهما. أما المحور الثاني فيتناول فيه الباحث أسباب انتشار السحر في المجتمع التنزاني، وفي المحور الثالث يوضح الباحث أهم الأضــرار التي تصــيب المجتمع التنزاني بســبب انتشــار تلك الظاهرة وتوغلها بداخله. أما المحور الرابع والأخير من هذا البحث فيحاول الباحث من خلاله إلقاء الضوء على كيفية معالجة ظاهرة السحر وأضرارها من منظور السنة النبوية الشريفة.

المحور الأول: مفهوم السحر وحقيقته

السحر في اللغة:

وردت كلمة السحر في معاجم اللغة باعتبار مادتها ـــ س ح ر ـــ في معانٍ عدة، وذلك تبعاً لورود استعمالها في الوضع الذي وقع فيه التخاطب ومنها: "الأُخذَةُ. وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر"[1].

السحر بمعنى: "الصرف والخداع، فأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره"[2].

وفي الاصطلاح الشرعي:

1- عرف الطبري – رحمه الله – السحر بأنه: "تخيل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في حقيقته، كالذي يرى السراب من بعيد، فيُخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد بخلاف ما هو على حقيقته"[3].

2- عرف ابن قدامة المقدسي – رحمه الله – السحر بأنه: "عزائم وعُقَدٌ وَرُقَى، تؤثر في الأبدان والقُلوب، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن الآخر"[4].

3- عرفه أحد العلماء المعاصرين:"هوعبارة عن أمور دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعليم تجري مجرى التمويه والخداع، تصدر من نفس شريرة"[5].

أقوال العلماء في حقيقة السحر وأدلتهم

اختلف العلماء حول حقيقة السحر بين المثبتين والمنكرين لها إلى قولين، حيث ذكر القرطبي – رحمه الله – في مسألة هل للسحر حقيقة وتأثير في الواقع، إلى أن أهل السنة قالوا بأن السحر ثابت وله حقيقة، وعندنا أنه حق وله حقيقة. وذهب عامة المعتزلة وأبو جعفر الأسترابادي من الشافعية إلى أن السحر لا حقيقة له؛ وإنما هو تمويه وتخيل وإيهام[6].

---

[1]) الفارابي، اسماعيل الجوهري:الصحاح، تحقيق: محمد تامر، دار الحديث للنشر – القاهرة، الطبعة الأولى – 2009م، ص(522).

2) الأزهري، محمد أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى – 1967م، (290/4).

3) الطبري، محمد بن جرير:جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر للنشر – بيروت، الطبعة الأولى - 1978م، (1/ 366 – 368).

4) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي للنشر – بيروت، الطبعة الثالثة 1982م، (164/4).

5) السكري، عبدالسلام عبدالرحيم: السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي، دار الكتب الجامعية الحديثة – مصر، الطبعة الأولى – 1987م، ص(38).

6) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية – 1935م، (46/2).

القول الأول: ذهب العلماء الى أن السحر ثابت وله حقيقة، قال النووي – رحمه الله – : "والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة "[1]. منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ سورة البقرة:102.

الآية الكريمة ذكرت السحر، ودلت على أنه حقيقة. فالله سبحانه وتعالى أخبر في هذه الآية عن السحر، وأنه مما يعلم ويتعلم، وأن متعلمه يكفر. وهذه الصفات لا تكون إلا لما له حقيقة[2]. وأنه تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثاراً محسوسة وأضراراً حقيقية، كالتفريق بين المرء وزوجه، والضرر والأثر لا يكون إلا مما له حقيقة[3]، ولا يتم ذلك إلا بإذن الله وإرادته. وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ سورة الفلق: 1-5. وعن سبب نزول سورة الفلق، فقد اتفق المفسرون على أنها نزلت بسبب ما كان من سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم[4]، وهنا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه السورة بالإستعاذة من شر النفاثات في العقد، وهذا ما فسره جمهور المفسرين، مما يدل على أن للسحر حقيقة وأثر[5].

وفي السنة النبوية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتناب السبع الموبقات، وعد منها السحر، بل جعلها في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله مما يدل على أن لها حقيقة، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ)[6].

---

[1]) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، دار الكتب العلمية – بيروت،2003م، (273/10).

2) النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح النووي صحيح مسلم، إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية، 1392م، (174/14).

3) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 2000م، (213/3).

4) والحقيقة أن سحر النبي صلى الله عليه وسلم والإدعاءات الكاذبة التي ذكرت بأن هذا الأمر ينال من مكانة الوحي وعصمته عليه السلام ، هو ضربٌ من الخيال؛ فوقوع السحر للنبي لا يشوب مكانة النبوة بأية شائبة، وذلك لأن تأثير السحر كان واقعاً على جسده دون عقله، كما أن المقصود من التخييل الذي حدث للنبي صلى الله عليه وسلم ليس أنه كان يتخيل رؤية سيدنا جبريل عليه السلام وهو لم يره، وإنما المقصود من تخييله هو إتيان زوجاته ليس إلا. وفي هذا قال ابن القيم في الطب النبوي: " قد أنكر هذا طائفة من الناس، وظنوه نقصاً وعيباً، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم من الأسقام والأوجاع، وإصابته به كإصابته بالسم ولا فرق بينهما". ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الطب النبوي، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الفكر للطباعة– بيروت، الطبعة الأولى - 2006م، ص (98).

5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية, التفسير القيم، تحقيق محمد حامد الفقي, دار الكتاب العربي – بيروت، 1978م, ص(564).

6) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرك بالله والسحر من الموبقات، رقم 5764، دار ابن كثير للطباعة – بيروت، الطبعة الأولى – 2002م، ص (1459).

هذا وقد شاع السحر وتكلم الناس فيه ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكاراً لأصله، فدل كل ذلك على أن للسحر وجود وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى في كتابه الكريم، ورسوله في سنته الشريفة على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذي ينعقد بهم الإجماع[1].

وقال ابن القيم – رحمه الله – في ردِّه على القائلين أن السحر لا حقيقة له: "وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث، وما يعرفه عامة العقلاء، والسحر الذي يؤثر مرضاً، وثقلاً، وعقداً، وحباً، وبغضاً، ونزيفاً، وغير ذلك من الآثار – موجود، تعرفه عامة الناس"[2].

القول الثاني: يجب توضيح آراء المنكرين لحقيقة وجود السحر، مع ذكر الأدلة والبراهين التي استند عليها أصحاب ذلك القول. وقد قال بذلك فئة من المعتزلة وبعض العلماء كأبي منصور الماتريدي وابن حزم، وأبي بكر الجصاص وغيرهم.

وملخص رأيهم أن السحر لا حقيقة له إنما هو تمويه وتخيل فلا تأثير له ولا مرض ولا حل ولا عقد ولا غير ذلك. وعليه فهم ينكرون كل أنواع السحر ويجعلونه نوعاً واحداً وهو سحر التخيل. فقد ذكر القاضي عبد الجبار أن السحر في الحقيقة لا يوجب المضرة؛ لأنه ضرب من التمويه والحيلة، كما ذكر أبو منصور الماتريدي أن الأصل في الكهانة محمول أكثرها على الكذب والمخادعة والسحر على التشبيه والتخيل[3].

ويقول ابن حزم – رحمه الله –: "وقد نص الله عز وجل على هذا، فقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ سورة طه:66، فأخبر الله تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخيلاً لا حقيقة[4].

وذكر ابن حجر – رحمه الله –:" أنه اختُلِف في السحر، فقيل هو تخيل فقط ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الإستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم من الظاهرية"[5], وقد أيدوا رأيهم بهذه الشبهات النقلية والعقلية.

1) النووي، المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم, مرجع سابق، (174/14).
2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية: بدائع التفسير – الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولى – 427هـ، (417/3).
3) ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد:حاشية كتاب التوحيد، مكتبة نور للنشر، الطبعة الثالثة - 1408هـ، ص(202).
4) ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي: المحلى بالآثار، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ (58/1).
5) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق (222/10).

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ سورة الأعراف:116. وقالوا أن السحرة حاولوا إرهاب الناس وتخويفهم بأن خيلوا لأعين الناظرين أمراً لا حقيقة له مما يدل على ان السحر الذي جاءوا به تخييل لا حقيقة له في نفس الأمر[1]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ سورة طه: 69، قالوا أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه كيد لا حقيقه له[2].

الترجيح: وبعد بيان وإيضاح أدلة الفريقين وآرائهما المتباينة في مسألة السحر، وهل له حقيقة وتأثير في الواقع، يميل الباحث إلى الأخذ بأدلة وقول الفريق الأول، وذلك لأن الآيات القرآنية دلت على أن للسحر أثراً في نظر المسحور، وكذلك بيَّنت السنة النبوية أنَّ السحر من الأمور الذي يُسبب ضرراً كبيراً على الشخص المصاب بها.

وقد أكد على ذلك رب العزة سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، فهذا خبرٌ من الله، وخبر ربنا لا يدخله تأويلٌ ولا نسخ – ومن أصدق من الله قيلا – وقد أخبر كما نرى أن الشياطين يُعلمون الناس السحر، فدل على وجود السحر وحقيقته، إذ كيف يُعلَّم من لا وجود له، ولا وقوع؟.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، يدل على أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده أن من اشترى السحر وعمل به؛ فإنه بذلك ليس له حَظٌّ في الأخرة. كما أن ذمه للسحر وللسحرة وما استعاضوه لأنفسهم بدل الإيمان، دليلٌ على أن ذلك أمر حقيقي وواقعي.

والسنة النبوية دلت كذلك على وجود السحر وأكدت على أنه من الأمور المحرمة، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيي صلى الله عليه وسلم قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ)[3]، وذلك مما يدل على أن السحر شيء واقع وموجود.

كما أننا إذا ما سلَّمنا أن الآيات القرآنية التي استدل بها الفريق الثاني دلت على التخيل والمخادعة فقط، فإن هذا الأمر لا يمنع أن يكون غير المخادعة والتخيل من جملة السحر، إذ أنها لم تحصر السحر في التخيل والمخادعة فقط، وإنما دلت على أن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع. ولهذا فليس هناك دليل أو حجة في الآيات تنفي حقيقة السحر وتأثيره على الإنسان[4].

---

[1]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد: أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولى - 1996م، (437/4).

[2]) المرجع السابق، (5/6-5).

[3]) سبق تخريجه.

[4]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، مرجع سابق (46/2).

المحور الثاني: أسباب انتشار السحر في تنزانيا

المجتمع التنزاني هو مجتمعٌ يتميز بطباعه المسالمة ويتسم بصفات التعايش السلمي مع كافة الحضارات والثقافات الواردة إليه. فهو مجتمعٌ يتعايش بداخله الكثير من معتنقي الأديان في سلم وأمان. وتُعد الديانة الأبرز انتشاراً بين كافة أطياف المجتمع التنزاني هي الإسلام، وتأتي الديانة المسيحية في المرتبة الثانية[1].

وتوجد في تنزانيا العديد من أصحاب الهويات والقبائل المختلفة، شأنها في ذلك شأن أغلب الدول الإفريقية. وقد حظيت تنزانيا – وما زالت – باستقرارٍ كبير في عدد من الجوانب المتعلقة بالشأن الداخلي لها، وذلك مقارنة بنظيراتها في شرق ووسط إفريقيا؛ حيث لم تشهد حروبًا ونزاعات قَبَلية أو تمردًا مسلحاً أو حروباً دينية، وذلك على عكس معظم دول الجوار في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك، فإن المجتمع التنزاني بكل فئاته وعاداته، وتقاليده، والظواهر الاجتماعية المنتشرة فيه، لم يحظَ على قدرٍ من الاهتمام – في جميع الجوانب الاجتماعية والحياتية– على مدار الحقبات الزمنية المتعاقبة. وهذا الإهمال – بطبيعة الحال – سيفرز واقعاً مريراً ومليئاً بالأزمات والمشاكل العديدة، والتي ستؤدي حتماً إلى انتشار كثير من الظواهر السلبية داخل هذا المجتمع.

ولذلك وجدنا بعض أبناء المجتمع التنزاني يسعى بكل قوة من أجل ممارسة أعمال السحر والشعوذة، وأيضاً وجدنا عدداً آخر من أبناء هذا المجتمع يأتون هؤلاء السحرة من أجل التغلب على المشاكل الحياتية – بكافة جوانبها المحيطة بها – التي يتعرضون لها بشكلٍ دائم. بالإضافة كذلك، فإن كل التجارب الحقيقية والواقعية في كافة المجتمعات التي انتشرت بها ظاهرة السحر، تبرهن وتؤكد على أن السحر له مفاسد جمة، وأضرار خطيرة، تستدعي من الفرد والمجتمع الوقوف ضدها، والتعاطي مع هذا الظاهرة بمزيدٍ من الفاعلية، ومحاولة معالجة أسباب انتشارها، وبيان أضرارها. حيث لم تعد ظاهرة السحر والشعوذة ظاهرة فردية متخفية، وإنما أصبحت – في كثير من بلدان العالم – ظاهرة تستقطب كثير من أطياف المجتمع من رجال السياسة والأثرياء والجهلة، وأصبح الساحر – وهو الكذاب الدجال الأشر – شخصية لها وزنها بتلك المجتمعات، والكل يخافها ويهابها.

وكل ذلك مما لا شك فيه يُعد انقلاباً على القيم والأخلاق، وتغييراً في الحقائق، وانحرافاً في السلوك الإنساني القويم. ومن ثمَّ، ينبغي الوقوف أمام تلك الظاهرة، والتصدي لها، ومنع انتشارها بالعلم والمعرفة، والبحث عن الاعتقادات الباطلة لهؤلاء السحرة، وكشفها للعامة، وبيان جهلهم ودجلهم، وأكلهم أموال الناس بالباطل. كما أن القيام بكل ذلك سيؤدي في نهاية الأمر إلى تنفير الناس عنهم، وانفضاض الجمع من حولهم.

والحقيقة أن ظاهرة السحر والشعوذة أصبحت من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في تنزانيا، وهي ظاهرة يعود انتشارها للعديد من الأسباب. كما أن السحر في المجتمع التنزاني يمثل ظاهرة حيوية ومهمة جداً وموضوعاً يُثير اهتمام الكثيرين ممن يهتمون بتلك القضايا الاجتماعية.

[1]) النقيرة، محمد عبدالله: انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر – الرياض، الطبعة الأولى – 1982م، ص(213).

ومن هنا أصبح السحر – في أغلب صوره وأشكاله – وسيلة من أكبر الوسائل لنشر التخلف والرجعية، والفقر، والقتل، والصد عن الهدى، والابتعاد عن الطريق القويم، وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها من الأمور السيئة التي تؤثر بشكلٍ سلبي على الشعب التنزاني.

والأمر اللافت للنظر، أن السحر والسحرة كانوا قديماً يمارسون أعمالهم الشيطانية في أماكن غير معلومة للجميع. بالإضافة كذلك، فإن السحر بكافة صوره وأشكاله كان مقصوراً على أشخاصٍ بعينهم، إلا أن هذا الأمر تغير بشكلٍ جذري في عصرنا الحاضر. حيث أصبحنا نرى ونشاهد رواجاً وانتشاراً كبيراً للسحرة وأعمال السحر، وأصبح له مظاهر كثيرة، وأساليب متنوعة، وساهمت العديد من الوسائل المتنوعة في انتشار تلك الظاهرة الخطيرة، ومن ثمَّ أصبح التعامل مع السحرة والمشعوذين أمراً ليس بالصعب كما كان قديماً.

والشيء العجيب كذلك لهؤلاء السحرة والمشعوذين في المجتمع التنزاني – وغيره من المجتمعات الأخرى – والذين يندفعون بقوة نحو تَعَلُّم السحر وممارسته وتعليمه للآخرين، ما هو الباعث والسبب الحقيقي الذي يجعلهم يفعلون كل تلك الأشياء الضارة لمجتمعاتهم التي يعيشون فيها، ويأكلون ويشربون من خيراتها، ويتنعمون بأمنها وأرضها، وما هو الدافع لهؤلاء الذي يؤدي بهم إلى هذا المسلك الخطير.

وربما يرجع إنتشار ظاهرة السحر في المجتمع التنزاني إلى أسبابٍ عديدة يتعلق بعضها بطبيعة ثقافة تلك المجتمعات، والتي تميل دائماً لتصديق الغيبيات، والمعتقدات والخرافات، مهما تضمنت تلك الخرافات من أمورٍ تخالف حقائق علمية أو دينية، لا سيما وأن هؤلاء السحرة يخلطون بين السحر والدين في الكثير من معتقداتهم الباطلة. وأيضاً هناك بعض الأمور الأخرى التي تتعلق بالجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية، كانت من الأسباب والعوامل الرئيسية في انتشار ظاهرة السحر في المجتمع التنزاني، والتي من أهمها:

أولاً: ولعلَّ الدافع الأول والسبب الرئيسي من وجهة نظر الباحث، هو **دافعٌ نفسي** مصطبغ بشهوة إلحاق الضرر وإيذاء الآخرين، ومن ثمَّ يقومون بإهلاكهم وتدميرهم – مادياً ومعنوياً – والسيطرة عليهم وعلى عقولهم. وفي سبيل تحقيق ذلك والوصول إليه بشكلٍ سريع، يتحالفون مع الشيطان – دون إدراكٍ منهم أن في ذلك الأمر ضررٌ لهم كذلك – ويدمِّرون أنفسهم وفطرتهم التي خلقهم الله بها، قبل أن يدمِّروا غيرهم.

والحقيقة أن هؤلاء السحرة يدفعون ثمناً باهظاً نظير السحر الذي يحصلون عليه في تحالفهم مع الشيطان، فهم يدفعون مقابل تعلم السحر أنفسهم؛ فالشيطان لا يرضى بأقل من العبودية والانصياع له في كل شيء، فإذا انصاع العبد للشيطان من دون الله، حينها تتحول نفسه الطيبة إلى نفسٍ خبيثة وأمارة بالسوء، كما يُصبح قلبه مظلماً ومليئاً بالسواد مع الآخرين، وأخلاقه فاسدة، وتصرفاته وأفعاله تؤدي إلى الشر في كل مكانٍ تصل إليه.

وقد بيَّن الشـيخ محمد جعفر تفاهة الثمن والجزاء الذي يتقاضـاه السـاحر مقابل بيعه لروحه ونفسـه وكل ما يملك للشيطان، حيث قال: "والطريف في الأمر أن الساحر على الرغم مما يبذله من جهدٍ وتعب، ويُقدِم عليه من تضحيات في سبيل التعاليم الشيطانية ورضاه بالذل والخنوع وارتكابه المعاصي والمخازي وبيع روحه وكل ما يملك لإبليس، فإننا نرى جزاءه من الشيطان لا يتكافأ ولا يتناسب مع كل هذا الجهد وهذه التضحيات، لأن عمل الساحر لا يدوم بتاتاً بصفة مستمرة، فإذا أراد الساحر استمرار تأثير سحره، فعليه إعادة العمل وتكراره، وبذلك يرتبط الساحر بالشيطان باسـتمرار، ويشـعر أنه بحاجةٍ إليه، فإذا حلَّت بالسـاحر المصـائب والنوائب فإن الشـيطان يتخلى عنه، ولا يسـعى لخلاصه"[1].

ثانياً: حب المال وشهوة الأهواء : أيضاً من الأمور الخطيرة التي تدفع كلا الطرفين – السحرة والمترددين عليهم – نحو هذا العمل الخبيث، هو الرغبة في الحصول على الأموال من قبل هؤلاء السحرة، وفي نفس الوقت يلجأ إليهم الكثير من الناس من أجل تحقيق رغباتهم وأهوائهم. وفي سبيل الوصول لذلك، يقدمون لهؤلاء السحرة الغالي والنفيس.

ولكن في نهاية هذا الأمر، قد ينقلب كل ذلك على السـاحر وبالاً، وعاقبته تكون وخيمة. فنسـمع كثيراً وفي مواقف عدة، أن المال الذي جمعه والتقدير والاحترام – غالباً ما يكون هذا التقدير إما رغبة في الوصـول للهدف أو خوفاً من هذا السـاحر – الذي حصـل عليه من قبل هؤلاء الجهلاء، تحول إلى احتقارٍ وتوبيخ. فإذا ما ثبت وتبين لهؤلاء كذب الساحر وعدم استطاعته تحقيق ما وعدهم به، فإنهم يقومون بضربه ضرباً مبرحاً، وربما يصل الأمر إلى القضاء عليه وإنهاء وجوده، وإراحة الجميع من شروره وضلاله.

وفي هذه الحالة، فإن هؤلاء الذين كانوا يهرولون إلى السـحرة لكي يلتجأون لهم في كل أمرٍ من أمور حياتهم، ويرغبون في تحقيق رغباتهم وشـهواتهم من خلال هذا الضـلال المبين، فإنهم لا يرجعون إلا بالحسـرة والندامة، وحسـبهم أنهم تركوا المَلَاذ الآمن والصـادق الذي يجب اللجوء إليه وهو رب العزة سـبحانه وتعالى، ولجأوا إلى الشيطان وعبيده من هؤلاء السحرة، فماذا يتوقعون من مثل هؤلاء الأفاكين؟!.

ثالثاً: الحيرة والقلق والهموم التي يُعاني منها الإنسان: وعند الحديث عن موضوع الحيرة والمتاعب وكثرة القلق والهموم التي يواجهها الإنسان، نجد أن هذا الأمر هو من أهم الدوافع التي تجعل الناس في عالمنا المعاصر يسير في طريق وبراثن الشيطان وشره، والوقوع كذلك في حبائل هؤلاء السحرة والمشعوذين والأفاكين. والحقيقة أنه على الرغم من التقدم العلمي الذي وصلنا إليه، والتطور الهائل في حياتنا ونحن في أزهى عصور التقدم والمدنية، إلا أنه ما زالت مجموعة كبيرة من كافة فئات المجتمع تندفع بقوة نحو هذا الأعمال الشيطانية.

فالحيرة والقلق والهموم التي أصبحت متوطدة في القلوب والأفئدة، بالإضافة كذلك إلى العقد النفسية التي أصبحت داء الكثير من البشر في هذه الأيام، كل ذلك يجعل تلك المجتمعات تلجأ إلى السحرة والمشعوذين الموجودين بينهم، لكي يشعروا ويصلوا إلى راحة النفس وطمأنينة البال والبدن. ولكن للأسف، لا تزداد حياتهم إلا بؤساً وتعاسة، ويشعرون بأن حالهم ازداد ضيقاً وسوءاً. فإذا ما وصل الإنسان إلى هذا الحد من الضيق وكثرة الهموم والأوجاع،

[1]) جعفر، محمد محمد، كتاب السحر، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، الطبعة الأولى – 1958م, ص(91) (بتصرف).

حينها يجد الشيطان سبيله وفرصته سانحة لكي يدله ويوجهه نحو الطريق المعوج السقيم، والذي يكون بذلك وسيلة من وسائل الشيطان الفاسدة والضارة للمجتمع.

وبسبب ضعف كثيرٍ من الناس لوسوسة الشيطان، واغراءات عبيده، نجدهم يخضعون لأوامر الشيطان، ويتذللون لإرضاء هؤلاء السحرة، ما داموا يعتقدون أن بعد ذلك الأمر ستزول عنهم الهموم والأوجاع والقلق الذي يبعثر عليهم حياتهم. ولكن إذا ما وقعوا في مصائد الشيطان وحبائل السحرة المشعوذين، انسد أمامهم باب النجاة والخلاص من براثنه. ومما لا شك فيه أن من أعظم المصائب التي يتعرض لها الإنسان الآن، هي من يتوهم أن في ذهابه للساحر نجاة له من تلك الهموم. بل على العكس تماما؛ فإن تجنب الوقوع في تلك الآفات، ومنع نفسه من التردد والذهاب إلى السحرة، بالإضافة كذلك إلى اتخاذ سبل الوقاية الأخرى من كل ما يُضعف إيمانه ويقينه بالله سبحانه وتعالى، وأن ذلك بمثابة النجاة الحقيقية من إصابة الإنسان بمثل تلك الأشياء.

رابعاً: غياب الوعي والثقافة في المجتمع: تلعب الثقافة دوراً حيوياً في بناء الوعي السليم لكافة أبناء المجتمع على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم الدينية. حيث تُساهم الثقافة بشكل كبير في توعية الإنسان وقدرته على فهم الموروثات والعادات الخاطئة، ومن ثم نبذها والحد من انتشارها. فالإنسان الذي لديه من الثقافة والوعي السليم ما يمكنه من معرفة الظواهر الاجتماعية المقبولة منها والمرفوضة كذلك، فهو بذلك يكون عنصراً فعالاً داخل مجتمعه.

ولهذا، فإن أي مجتمعٍ يفتقد إلى الوعي والثقافة، نجد أنه ينتشر فيه الظواهر الاجتماعية الفاسدة، وتتوغل بداخله الكثير من المعتقدات والموروثات الخاطئة، الأمر الذي يؤدي إلى تصدع المجتمع وعدم تقدمه في جميع نواحي الحياة. وهذا للأسف هو ما يواجهه ويعاني منه المجتمع التنزاني، نظراً لكثرة انتشار هذه الظواهر والمعتقدات الباطلة، والتي تأتي في مقدمتها ظاهرة السحر والشعوذة.

وفي هذا الشأن يقول الباحث (AMY NICHOLS) حول حقيقة انتشار ظاهرة السحر ومدى توغلها داخل المجتمع التنزاني، وبالتحديد في مدينة موانزا (MWANZA): "إن ظاهرة السحر متوغلة ومنتشرة بشكلٍ كبير وشائعة بين الجميع. ولذلك، فإن السحر في موانزا (MWANZA) ليس مجرد خطاب أو كلام بين أفراد المجتمع، وإنما هو تجسيد للواقع اليومي والحياتي الذي يعيشه المواطنين في موانزا (MWANZA) بغض النظر عن الحالة العرقية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يعيشها أبناء هذه المدينة"[1].

ولهذا فإن الباحث يرى أن نظرة ورؤية المواطنين لظاهرة السحر على أنها أمراً طبيعياً،وأنها لا تؤثر بأي شكلٍ من الأشكال على حياتهم، هو نتيجة حتمية لغياب الثقافة والوعي داخل المجتمع التنزاني، وأنه أحد أهم العوامل الأساسية في انتشار ظاهرة السحر والشعوذة بين سكانه. ولهذا، وبسبب افتقاد نسبة ليست بالقليلة من المجتمع التنزاني للثقافة بجميع عناصرها، نجد أن ظاهرة السحر تلعب دوراً سلبياً ومباشراً في حياة المواطنين التنزانيين، حيث إنّها تجعلهم بعيدين عن التفكر، ومحاولة تنوير عقولهم إلى ما يفيد مجتمعهم، ويهدف إلى تطويره وتقدمه.

[1]) Richmond, Amy Nichols-Belo, Uchawi Upo: Embodied Experience and Anti-witchcraft Practice in Mwanza, Tanzania, the Department of Anthropology, Graduate Faculty, University of Virginia, May 2014Ad, pg.3.

وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى عدم مقدرة المجتمع على التمييز بين الصواب والخطأ. ولهذا، نجد أن كل مجموعة من المجموعات التي تمارس السحر داخل المجتمع التنزاني وتستخدم بعض المعتقدات السحرية، والتي ترى – من وجهة نظرها – بأنّها صحيحة، وتحاول بشتى الطرق على نشر تلك المعتقدات الباطلة مع الآخرين، وذلك من أجل بث الجهل والتخلف في عقول التنزانيين.

والحقيقة أن جهل فئة كبيرة من أبناء المجتمع التنزاني بحقيقة هؤلاء السحرة، وعدم إدراكهم لزيفهم، يوضح الصورة الحقيقية التي يعيشها هؤلاء الناس من انخداعهم ببعض ما يقومون به من أمور خارجة عن العادة. أيضاً تصديقهم بما يُشاع عنهم من أخبار تفيد أنهم يجلبون السعادة والبهجة والخير لكل إنسانٍ حزين، ويدفعون عنه أي أذى يمكن أن يصيبه أو يؤدي إلى إهلاكه وتدميره. والجهل بحقيقتهم والإيمان بقدرتهم المزيفة، يرى الباحث أنها تأتي في مقدمة الأسباب التي مكنت من انتشار السحر والشعوذة داخل كافة أوساط المجتمع التنزاني.

والمتأمل للآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة، يجد أنها تؤكد دائماً إلى التفكر، والتعلم، والتثقف، حتى لا يقع الجميع فريسة لتلك المعتقدات الخاطئة ومثل هذه الظواهر الاجتماعية الفاسدة. فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر: 9. ونجد كذلك أن السنة النبوية تؤكد على ذلك المعنى الجميل، وترفض تعلُّم الأشياء والعلوم التي لا طائل من تعلمها، طالما أنها لا تفيد، ولا تنفع البشرية في أي شيء، فعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلُوا اللهَ علمًا نافعًا، وتَعَوَّذُوا باللهِ منْ علمٍ لا ينفعُ)[1].

خامساً: ظهور بعض الوسائل الحديثة المعينة على انتشار السحر: على الرغم من عدم توافر الوسائل والتكنولوجيا الحديثة في المجتمع التنزاني لدى جميع سكانه بشكلٍ كامل، نظراً لقلة الإمكانيات المادية في العديد من المناطق الريفية داخل تنزانيا، إلا أن ظهور الوسائل والتكنولوجيا الحديثة، واستخدام العديد من المواطنين التنزانيين لها، ساعد بشكلٍ كبير على توغل وتفشي ظاهرة السحر في المجتمع التنزاني. بالإضافة إلى ذلك، فقد تمكن هؤلاء السحرة من استغلال هذه الوسائل الحديثة، وذلك من أجل نشر فسادهم وبدعهم بشكل أوسع، طبقاً لتطور الوسائل المعينة لهم في هذا الإفساد.

فلم يعد كثير من السحرة في المجتمع التنزاني يستخدمون الشكل التقليدي– حتى وإن كان هناك فئة من المجتمع ما زالت تستخدمه في العديد من المناطق الريفية – للسحر في ممارساتهم الشيطانية، بل تطورت أساليبهم تبعاً لتطور الوسائل الحديثة التي بين أيديهم، الأمر الذي وصل بهم إلى تمكنهم من سحر الإنسان عن طريق الاستعانة بالوسائل الحديثة مثل وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال الاتصالات الهاتفية.

وهناك أيضاً بعض القنوات والوسائل الإعلامية التي نجدها تشير أحياناً إلى السحر والشعوذة، ومحاولة إعطاء فكرة غير مباشرة للمُشاهد عن تلك الظاهرة، الأمر الذي يستدعي انتباه المُشاهد إلى محاولة التعرف بشكلٍ أعمق عن كنهها، وكيفية استخدامها وممارستها، وهو الأمر الذي تهدف إليه مثل هذه القنوات والوسائل الإعلامية الهدامة.

[1]) القزويني، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد، صحيح سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الدعاء، باب ما تعوَّذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، (257/3)، رقم 2516، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى - 1997م، (قال الألباني هذا حديث حسن صحيح).

أضف إلى ذلك، أن هناك الكثير من تلك القنوات الإعلامية المحلية وغير المحلية، تساهم في تشجيع هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة على المجتمع التنزاني – بعمدٍ أو غير عمد منها –، وأقوى دليل على ذلك هو المساحة الكبيرة التي يخصصها التليفزيون وبعض المحطات الفضائية للحديث عن أعمال السحر في تنزانيا، وتمكن وبراعة السحرة التنزانيين في هذا المجال، وهو الأمر الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى انتشار وتوغل السحر داخل وخارج الأراضي التنزانية. فعلى سبيل المثال، نشرت قناة العربية الفضائية تقريراً مصوراً[1] قام به فريق العمل الخاص بالقناة داخل إحدى المدن التنزانية المشهورة، ألا وهي مدينة أروشا (ARUSHA). ويوضح التقرير أن السحر والشعوذة تجارة رائجة في إفريقيا بأسرها، وليس في تنزانيا فحسب، ولهذا يُسمونها أرض السحر والطلاسم.

كما يضيف التقرير إلى أن السحر والشعوذة ما زالا يعشعشان في عقول وأذهان التنزانيين، وهو الأمر الذي كانت تهدف القناة إلى معرفته. ومن أجل الوصول إلى حقيقته، حاول فريق عمل القناة مقابلة إحدى الساحرات الذائع صيتها هناك، واستمر هذا الأمر ثلاثة أسابيع من أجل إقناعها بتلك المقابلة. وبالفعل تم عمل المقابلة مع الساحرة وتُدعى فطومة، وهي ساحرة مشهورة في مدينة أروشا، وعدد من البلدان المجاورة. وقد بثت القناة تجربة واقعية لإحدى الفتيات التي كانت تعاني من الأمراض، وبعد محاولة تجربة العديد من الحلول لعلاجها من قبل أهلها، لجأوا في نهاية المطاف إلى تلك الساحرة، إيماناً منهم أن شفائها سيكون من خلال تلك الساحرة.

والحقيقة المؤسفة أن مثل هذه التقارير تعمل بشكلٍ مباشر على توصيل صيت وشهرة مثل هؤلاء الساحرات بشكل أكبرٍ وسريع، نظراً لما تملكه تلك المحطات والقنوات الفضائية من ملايين المتابعين والمشاهدين على مستوى العالم. بالإضافة إلى أن ما تبثه تلك القنوات الفضائية يكون عاملاً أساسياً، وسبباً رئيسياً فى تفشي ظاهرة السحر في تلك المجتمعات.

سادساً: قلة العقوبات الرادعة للسحرة والمترددين عليهم: بالرغم من أن ظاهرة السحر والشعوذة لها جذور متأصلة، ومتفشية بشكلٍ كبير داخل المجتمع التنزاني منذ قديم الزمان، إلا أن هذه الظاهرة لم يُعالجها القانون التنزاني بشكلٍ يمكن من خلاله التغلب والحد من خطورتها على المجتمع، أو حتى مواجهة هؤلاء السحرة وردع أفعالهم الفاسدة. وذلك من خلال وضع قوانين واضحة وصريحة تعاقب كل من يرتكب ذلك الفعل، وتُوقع الجزاء العادل بحق من يُمارسها. فمثل هذه الظواهر والآفات الخطيرة على المجتمع لزاماً على المشرع أن يتصدى لها بكل حزمٍ وقوة، نظراً لما تسببه من أضرار جسيمة، والتي تصل إلى حد الهلاك، وقتل الأنفس، وتشتيت شمل العوائل. والحقيقة أن النظام القانوني في تنزانيا لم يتعامل مع تحديات ظاهرة السحر وخطورتها على المجتمع بشكل يساعد على عدم انتشارها، وممارستها والانشغال بها بالشكل الذي نراه ونشاهده في وقتنا المعاصر. وهذا هو ما أكده الباحث سيمون ميساكي (SIMEON MESAKI)، قائلاً: "إن القانون التنزاني لم يتصدّ بشكلٍ كافٍ لظاهرة السحر المتوغلة بقوة داخل المجتمع التنزاني. وعلى الرغم من إدراك الحكومات التنزانية بخطورة ممارسة السحر في البلاد، ووعيها الكامل بما تسببه من مشكلات إجتماعية لا حصر لها، إلا أنها لا تزال تتعامل مع الأمر بشيءٍ من التهاون في فرض وسن التشريعات التي تمنع من ممارسة السحر، والعمل على عدم تمكن هؤلاء السحرة من العمل بكل سهولة ويسر داخل مجتمعاتهم. مضيفاً أنه يتعين على الحكومة التنزانية صياغة استراتيجية واضحة للتعامل مع السحر، بالاعتماد على

[1]) سلسلة إفريقيا الأخرى، التقرير الثاني من سلسلة إفريقيا الأخرى لقناة العربية الفضائية بعنوان: فريق العربية في وكر مشعوذة في تنزانيا، نشر بتاريخ 2018/10/22م.

ما تفعله الحكومات الأخرى في المنطقة، والتي تستغل الأدوات القانونية في محاولة منها للسيطرة على هذه الظاهرة المثيرة للاهتمام"[1].

والحقيقة أن مجرد تجريم ظاهرة السحر وممارستها كما هو الحال في القانون التنزاني، ليس حلاً يمنع من تفشي هذا الظاهرة، وإنما يجب على المشرع التنزاني توسيع الدائرة بأقصى قدرٍ ممكن، لتشمل كل الأفعال المرتبطة بالسحر والشعوذة؛ كالترويج لأعمال السحر والسحرة بأي شكلٍ، وبأي وسيلة كانت، أو الاستعانة بالساحر، والتعامل معه من خلال الأدوات المخصصة للسحر، والتداوي بها على سبيل المثال. حيث اعتاد كثير من الأشخاص داخل المجتمع التنزاني على أنه بمجرد أن يصابوا بأي مرض، أو يواجهوا صعوبة ما، فإنه أول ما يبادر في أذهانهم هو الاستعانة واللجوء إلى السحرة والمشعوذين لمساعدتهم على التخلص من أمراضهم، وتحقيق ما يصبون إليه، دون أدنى تفكير في مشروعية هذا السلوك أو عدم مشروعيته. الأمر الذي أدى إلى انتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع التنزاني بالشكل الموجودعليه الآن.

المحور الثالث: آثار وأضرار انتشار السحر في المجتمع التنزاني:

والحقيقة أن السحر له تأثيرٌ كبيرٌ على عقول ونفوس وأفعال نسبة كبيرة من أبناء المجتمع التنزاني. وهذا التأثير متأصلاً ومتجذراً في العقل الباطني لهؤلاء الناس المعتقدين بقدرة السحر والأعمال السحرية على تجاوز كافة الصعوبات والعقبات مهما كان حجمها، بل وربما إيمانهم بقدرتها على تجاوز المستحيلات كذلك .

وهذا الاعتقاد يزداد وينقص طبقاً لأحوال المجتمع، كما أنه يرتبط كذلك بتعاطي هذا المجتمع وتفاعله مع العديد من العوامل الأساسية المرتبطة به؛ منها على سبيل المثال العامل الديني، والثقافي، والتعليمي، والاقتصادي، والعامل الأمني كذلك، وغيرها من العوامل التي تؤثر بشكلٍ كبير – في حالة عدم توافرها – على كافة أطياف المجتمع التنزاني، وتجعلهم يهرولون إلى السحر والتقرب من السحرة من أجل تلبية متطلباتهم واحتياجاتهم الأساسية.

أولاً: السحر وأثره على الدين في المجتمع

وعند الحديث عن العامل الديني والإيماني وارتباطه بظاهرة السحر داخل المجتمع التنزاني، وتأثر المجتمع بهذا العامل وتأثيره عليهم في تعاطيهم ومدى قبولهم هذه الظاهرة. نجد أنه من أهم العوامل المؤثرة في تحديد تعاطي الناس مع السحر داخل أي مجتمع، وليس على مستوى المجتمع التنزاني فحسب. فكلما كان الدين فاعلاً ومؤثراً بشكلٍ حقيقي داخل المجتمع، والناس يتقربون من خلاله إلى ربهم ويلتجأون إليه في كل أمورهم، ويتوجهون بوجوههم وعقولهم وأفئدتهم إلى الله سبحانه وتعالى، كان ذلك سبباً مهماً وعاملاً أساسياً في انخفاض نسبة تأثر المجتمع بالسحر والسحرة. بل وأدى ذلك إلى إنصراف الناس عنهم وعن أعمالهم الفاسدة بدرجة كبيرة، وربما يصل الأمر إلى نبذهم وطردهم من المجتمع الذي يعيشون فيه.

[1]) Mesaki, Simeon, Witchcraft and the law in Tanzania: research published in the department of Sociology and Anthropology, University of Dares Salam, Tanzaniam, November 2009Ad, pg.133 -134.

ولهذا، فإن عدم تحقيق وعدم توفر هذا العامل المهم والرئيسي بين العديد من أبناء المجتمع التنزاني، كان سبباً مباشراً لرواج سوق السحر وانتشار السحرة في المجتمع. بالإضافة كذلك إلى زيادة اعتقاد الناس بجدوى وفائدة وجود السحر فيما بينهم، حتى وإن كان هذا الاعتقاد غير ظاهر للجميع، ويحاول البعض إخفائه حتى لا يُتهموا بالرجعية والتخلف، وهم أول الناس ممارسة له، ويعتقدون به ويطبقونه في كافة أنشطة حياتهم.

وكل ذلك بلا أدنى شك يؤدي إلى ضعف أثر الدين في نفوس الناس، كما أن ضعف الوازع الديني لدى هؤلاء وبعدهم عن تعاليم الدين الصحيحة، يدفع بهم إلى الوقوع في براثن السحرة وأعمالهم الشيطانية، ويجعلهم يصدقون ويتعاملون مع هؤلاء السحرة. وهذا الاعتقاد الكبير في السحر، يُنتج البدع والخرافات والأوهام، ويُقلل من قيمة الدين في المجتمع. ومن هنا تظهر الأسباب والآثار القوية لانتشار السحر، وعندئذٍ يتنفس المشعوذون والسحرة الصعداء، ويحاولون بشتى الطرق غرس بذور الفساد والإفساد بين أبناء المجتمع الغافلين عن الحقيقة الإلهية المضيئة.

والحقيقة أن نجاتهم وفلاحهم هو في الابتعاد عن تلك الأفعال المحرمة التي أنكرتها كافة الشرائع السماوية. فكل الديانات حاربت السحر والسحرة وحذرت من يعتقد بتلك الأعمال، بل وأشارت كذلك إلى مشروعية التخلص منهم ومن أفعالهم المذمومة. ولهذا، فإنه يجب على الأنسان أن يعتقد ويؤمن إيماناً حقيقياً بأن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أكده لنا ربنا في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة البقرة: 102.

ومن هنا أدخل العلماء السحر في أبواب التوحيد والعقيدة، نظراً لتأثيرها المباشر على علاقة الإنسان بخالقه عز وجل، وتأثيرها على عقيدته ووحدانيته لله سبحانه وتعالى. فأكثر أنواع السحر، بل جلها لا يتم إلا من خلال التقرب والالتجاء والتوسل إلى الشيطان وأعوانه الشريرة. وهذا الأمر ينفي عبودية الإنسان المطلقة لله سبحانه وتعالى، ولن يتم ذلك الأمر حتى يترك الإنسان كل أعمال السحر قليلها وكثيرها، وهذا ما جعل المُشَرِّع يقرن أعمال السحر بالشرك.

ثانياً: السحر وأثره على التعليم في المجتمع

وكما أن السحر يؤثر على الدين والعقيدة داخل المجتمع، فإنه كذلك يؤثر على الجانب التعليمي والثقافي في المجتمع الذي يتفشى فيه. حيث أن السحر هو قرين لكل جهل، والساحر قرين كل جاهل وفاسد. فالهدف الأساسي بالنسبة للساحر عند ممارسته لأفعاله الشيطانية هو تغيير الحقائق العلمية والفطرة البشرية التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وبالتالي يكون ذلك سبباً من أسباب انتشار الجهل في المجتمع.

وبسبب انتشار هذه الظاهرة في المجتمع التنزاني واستخدامها بين غالبية الأوساط الاجتماعية التي يعيشون فيها، كانت نتيجة ذلك سيطرة الجهل على معظم مستخدمي ومروجي تلك الظاهرة. ومن ثمَّ تأثير ذلك على الجانب التعليمي في كافة المستويات في تنزانيا، الأمر الذي انعكس بطبيعة الحال على الوضع الثقافي والفكري داخل هذا المجتمع. وهو الأمر ذاته الذي وضحه وأشار إليه سيمون ميساكي (SIMEON MESAKI) حول الاعتقاد الكبير للتنزانيين بالسحر وبهؤلاء السحرة وأن ذلك الأمر مغالطة يعود برمته إلى عامل الجهل. ولا يمكن مقاومة تلك المعتقدات السحرية وإزالتها من عقول الناس التي أثرت على الجانب التثقيفي والتعليمي لديهم إلا من خلال التغلب على الجهل ونشر العلم وتثقيف الشعب[1].

[1]. **Witchcraft and the law in Tanzania,** op. Cit, pg. 138.

ثالثاً: السحر وأثره على الجانب الاقتصادي في المجتمع

يتمثل أثر السحر على الجانب الاقتصادي داخل المجتمع التنزاني في العديد من الصور والأشكال، والتي يكون لها تأثير كبير على الإنسان بشكلٍ خاص وعلى المجتمع بشكلٍ عام. نظراً للرغبة الكبيرة من الشخص الذي يعتقد في السحر، والذي لديه استعداد كامل للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الوصول إلى هدفه المنشود. ولا شك أن ذلك سيكون له مردود وأضرار سلبية على المجتمع التنزاني الذي تتواجد فيه مثل هذه الصور .

ومنها على سبيل المثال الخداع والتضليل الذي يقوم به هؤلاء السحرة من أجل استنزاف أموال الناس واستنزافهم بشكلٍ كبير. وذلك من خلال إيهامهم بأن لديهم القدرة على علاجهم وفك السحر الموجود بأبدانهم، بل وإلحاق الضرر بالآخرين الذين تسببوا في سحرهم، من خلال التسبب لهم بمختلف أنواع العلل والأمراض. والحقيقة أن هؤلاء السحرة بهذه الطريقة يخدعون الجاني والمجني عليه، ويستنزفون أموال الطرفين على حدٍ سواء.

رابعاً: السحر وأثره على الجانب الأمني في المجتمع

وعند تناول ظاهرة السحر في المجتمع التنزاني وضررها على الناحية الأمنية, نجد أن هناك علاقة مهمة وضرورية بينهما. فالسحر قبل كل شيء هو بمثابة خرق للنظام الأمني وكسر له، نظراً لما يُسببه من نتائج سلبية تؤثر على أمن وآمان المجتمع بشكلٍ كامل. ومن هنا يظهر تأثير السحر على الناحية الأمنية داخل المجتمع التنزاني في كثيرٍ من الأوقات. وذلك من خلال اشتهار أسماء الكثير من السحرة الذين يزداد الإيمان والاعتقاد بأفعالهم، ومن ثمَّ يزداد نفوذهم وقدرتهم على التحكم في كثير من الأمور والقضايا المتعلقة بالمجتمع، وهو ما يتعارض مع النظام الأمني وقدرته على التحكم بمثل تلك الأمور.

ومن هنا ظهر ضرر السحر على الأمن داخل المجتمع التنزاني، حيث نسمع عن الكثير من الأنماط والسلوكيات السيئة والجرائم المنافية للأمن، والتي يكون للسحر دور كبير في وجودها وانتشارها. ومن هذه الجرائم التي حرص هؤلاء السحرة على مساندتها، أو قيامهم بارتكابها بشكلٍ مباشر؛ الفساد والإفساد في المجتمع: حيث يعمد هؤلاء السحرة على زرع الحقد والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد. بل ويصل الأمر إلى غرسه بين الأخوة والأهل والأزواج من خلال طرقٍ وأساليب معينة تناسب كل منهم. وبالتالي يُسيطرون على عقول وحواس هؤلاء الناس، ويتسببون في نشر الفساد بين الناس، وقطع صلة الأرحام والقربى بين الأهل جميعاً.

ومن أضرار انتشار السحر في المجتمع التنزاني آفة القتل وترويع وتخويف الآمنين؛ حيث يعمد بعض السحرة إلى قتل الناس وخاصة الأطفال، وذلك من أجل تقديمهم قرابين للشياطين. بل وفي كثيرٍ من الأحيان يقوم هؤلاء السحرة بإشعال نار الكراهية بين اثنين متخاصمين، ويعملون على زيادة الحقد بينهما بشتى الوسائل، الأمر الذي يؤدي في نهايته إلى مقتل أحدهما. وبالتالي نجد أن جرائم القتل تنتشر أكثر من معدلاتها الطبيعية داخل أي مجتمع تنتشر فيه تلك الظاهرة. الأمر الذي يُلحق الضرر بالنظام الأمني في المجتمع، ويعمل كذلك على زعزعة ثقة الناس به.

ولا شك أن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، تُعد من الإفساد الكبير في الأرض. بل إن زوال الدنيا وما فيها أهون عند الله عز وجل من قتل رجل مسلم. وهذا ما أكدت عليه السنة النبوية الشرية، وذلك في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ

مُسْلِمٍ)[1]. كما يعمد هؤلاء السحرة على تخويف ضحاياهم والمترددين عليهم بقدرتهم الكبيرة على فعل أي شيء لا يستطيع عقلهم إدراكه، وبالتالي يحدث وجود نوع من عدم الاستقرار والطمأنينة بين كافة أفراد المجتمع.

1. **صحيح سنن الترمذي**، كتاب الدّيات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، رقم 139، (101/2)، (قال الألباني هذا حديث صحيح).

المحور الرابع: معالجة ظاهرة السحر من منظور السنة النبوية الشريفة

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولها أهمية ودور كبير جدا في كشف وتصحيح المعتقدات والظواهر الخاطئة التي تنتشر في المجتمعات وبين الناس منذ قديم الزمان وعلى مر العصور المختلفة وحتى وقتنا المعاصر. فالله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية جمعاء ليبين ويكشف لهم الضلال الذي كانوا عليه، ويهديهم إلى الطريق القويم الذي يجنبهم زيغ الشيطان واتباع أعوانه الضالين المضلين.

ولهذا كان اتباع السنة النبوية المطهرة واجب كاتباع الكتاب الكريم، ومن ثم كان التعامل مع السنة النبوية فريضة على المسلمين، فهماً وفقهاً، وإيماناً والتزاماً، وعملاً وسلوكاً، ودعوة وتعليماً. والحقيقة أن عدم الالتزام بكل تلك الأمور التي دعت إليها السنة النبوية وطالبت البشرية كلها بإدراكها وفهمها وتطبيقها، يبين ويكشف إلى أي مدى وصل الانحطاط وانتشار الظواهر السلبية بمجتمعاتنا المعاصرة، والتي يأتي على رأسها ظاهرة السحر والشعوذة.

وتعتبر ظاهرة السحر والشعوذة من الظواهر الاجتماعية الضارة، ولهذا نهى الإسلام عن تعلمها وتعليمها. بل وحذرَّ من الإلتجاء إليها بأي شكلٍ من الأشكال، نظراً لتأثيرها الكبير على العقيدة، كما أنها تغلق على الإنسان منافذ العلم والمعرفة. بالإضافة كذلك فإنها تبعد الإنسان عن اكتساب الحكمة من خلال العقل والفكر السليم الذي جاء القرآن الكريم والرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم مكرماً له ورافعا لمنزلته, واستخدامه فيما يعود بالنفع على البشرية والإنسانية جمعاء.

فالسنة النبوية نهت نهياً قاطعاً في العديد من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن عن ممارسة الأعمال السحرية، أو الذهاب إلى السحرة والمشعوذين من أجل تحقيق أغراضهم وأهدافهم الخبيثة. بل إنها جعلت أعمال السحر والشعوذة من الموبقات المهلكات التي تؤدي بمرتكبها إلى الهلاك والضلال المبين، نظراً لعظم ذنب مرتكبها، وتأثيره الضار على كافة أطياف المجتمع الذي يعيش فيه.

ولهذا، جاءت السنة النبوية لتعالج هذه الظاهرة الخطيرة وتحد من انتشارها، وذلك من خلال تحريمها ونهيها القاطع لتلك الأعمال الشيطانية، والعمل على الإلتزام بالتوجيهات النبوية التي وضحها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه العديدة من أجل تجنب الوقوع في براثن تلك الظاهرة. فالنبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من مجرد الاقتراب من تلك الظاهرة، وذلك لعلمه التام بأنها لا تؤثر على بدن الإنسان فحسب، وإنما تؤثر كذلك على عقيدته؛ فالسحر بمثابة العقد المبرم بين الشيطان والإنسان الذي يمارس تلك الأعمال الفاسدة والخبيثة، ولن يحقق الشيطان أهداف ومآرب هذا الساحر التي يريدها منه والتي يسعى من خلالها إلحاق الضرر بالآخرين، إلا بعدما يتذلل له ويقوم بعبادته والكفر بخالقه سبحانه وتعالى وتنفيذ كل ما يأمره به.

ومن هنا كان السحر من أكبر الكبائر وأعظمها فحشاً، حيث قرن النبي صلى الله عليه وسلم السحر بالشرك، وذلك لأن السحر هو عمل شيطاني لا يتم كثير منه، ولا يتحقق إلا من خلال الشرك بالله والتقرب إلي الشياطين. وهذا مما يدل ويؤكد على عِظم جريمة السحر؛ لكونها تُهلك فاعلَها في الدنيا؛ لما يترتَّب عليها من الأضرار الجسيمة التي تلحق به – سواء كانت أضرار حسية أو معنوية – ، وتهلكه في الآخرة؛ بسبب كفره بالله وترك عقيدته السليمة، ومن ثمَّ يناله بسببها العذاب الأليم الذي لا يستطيع الهروب والفرار منه.

وهذا ما وضحه وأكده لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ)[1].

والنهي الصريح للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف عن تجنب السحر، يبين لنا بوضوح لا لبس فيه عِظم الشر والإثم الذي يلحق بالإنسان والمجتمعات التي تنتشر فيها تلك الظاهرة. فالإنسان الذي يتحكم فيه الشيطان بهذا الشكل، ويسيطر على كافة أفعاله وتصرفاته، هو إنسان وصل بذلك إلى قمة الشر، وذلك من خلال بعده التام عن المنهج الرباني القويم الذي وضعه لنا رب العالمين، وعلمنا إياه رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

فهؤلاء السحرة يتقربون إلى الشياطين بأقبح الأعمال الفاسدة من أجل تحقيق مقاصدهم وأهدافهم التي يسعون إليها. وفي هذا الشأن قال الآلوسي: "إن السحر هو أمر غريب يشبه الخارق – وليس به – وأنه يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح، قولاً كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره، وعملاً كعبادة الكواكب والتزام الجنابة وسائر الفسوق، واعتقادًا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه. وذلك لا يستتب إلا بمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس، فإن التناسب شرط التضامن والتعاون، فكما أن الملائكة لا تعاون إلا أخيار الناس المشبهين بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأشرار المشبهين بهم في الخباثة والنجاسة قولاً وفعلاً واعتقادًا، وبهذا يتميز الساحر عن النبي والولي"[2].

والذي ذكره الآلوسي في تعريفه السابق يؤكد لنا أنه من الأمور الثابتة الملموسة على مر العصور والأزمنة المتعاقبة حتى قيام الساعة، وجود حرب شرسة بين كل من الخير والشر، وبين جميع أتباع ومريدي النوعين، وكل منهما يسعى إلى تحقيق أهدافه وأغراضه والانتصار على الآخر بأي شكلٍ من الأشكال. ولا يستطيع أي شخص منا أن ينكر تغلغل الشر في حياتنا اليومية، حتى أصبحنا ونحن في أزهى عصور التقدم والتكنولوجيا ننام ونصحو في جوٍ من الخوف والهلع الشديد على حياة عائلاتنا وأحبائنا، وذلك بسبب ما نراه اليوم من ازدياد لتلك الأعمال السحرية والشيطانية الشريرة، والتي بدورها تؤدي إلى إلحاق الأذى بالخلائق بدون أي ذنبٍ اقترفوه.

ولهذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم مراراً وتكراراً من حبائل الشيطان ومداخله ووسوسته الخبيثة، فعَن علي بنِ حسين عن صَفِيَّةُ بنت حُيَي قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعتكفاً، فأَتيتُهُ أزورُهُ ليلاً، فحدثتُهُ ثم قمتُ فانقلَبْتُ، فَلَمَّا رَجَعَتِ انْطَلَقَ مَعَهَا – وكان سكنُها في دار أسامة بن زيد –، فَمَرَّ بِهِ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا فَقَالَ النبي عليه الصلاة والسلام على رِسلِكما، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بنت حُيَي. فقالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يا رسول الله. قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وإني خشيتُ أن يقذفَ في قلوبكما سوءاً"[3].

فكيف يتأتى لإنسانٍ يعرف كل تلك الأمور وهذه الحقائق من أن السحرة لا هدف ولا غاية ولا مقصد لهم إلا الضرر والهلاك، ثم بعد ذلك يسعى جاهداً إلى اللجوء والاستعانة بهم وبأفعالهم الخبيثة. والحال أيضاً أن السنة النبوية بيَّنت وأكدت في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة على أن السحر من عمل الشيطان، وأن السحرة والكهان يكذبون على

---

[1]) سبق تخريجه.
[2]) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق (337/1).
[3]) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم 3281، ص(808).

الناس ويوهمونهم بصدق كلامهم وأفعالهم، ولكن الحقيقة مغايرة تماماً لأقوالهم وأفعالهم. ففي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: (سَأَل أُنَاسٌ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الكُهَّان؟ فَقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيسُوا بشيءٍ" قالوا: يا رسولَ الله! فإنهم يُحدِّثُونَ أَحيانا الشيء يَكونُ حَقاً، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "تلكَ الكَلمة من الحق، يَخطَفُها الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا في أُذن وَلِيِّهِ قَرَّ الدجاجةِ، فَيَخلِطونَ فِيهَا أَكْثَر مِن مائةِ كذبةٍ)[1].

و هذا ما أكد عليه حسن الباش في كتابه (موقف الإسلام من السحر والخرافة)، فقال: "السنة النبوية ترفض السحر لأن فيه ضرراً ما بعده ضرر. فإن زعم الساحر أنه يشفي من الأمراض فإنه يخلط الجهل بالدواء، فبدل أن يشفي الجسد يزيد فيه داءً ومرضاً، كما أنه يفسد العقيدة برد الأمور لغير الله. وربطوا ما زعموا من سحر بسير الكواكب ومطالعها، وما علاقة كوكبٍ لا حياة فيه بنفوس البشر؟ وما شأن زهرة أو مريخ بمرض فلان أو فشله؟ لكن الصناعة لا بد أن تكتمل خدعتها، فقالوا أحداث في مطالع النجوم لا يقبلها منطق ولا دين"[2].

وللإمام عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – رأي واضح حول رفضه التداوي من الأمراض ومن سائر الأسقام عن طريق السحر، حيث يقول: "نظرًا لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممن يدعون الطب، ويعالجون عن طريق السحر أو الكهانة، واستغلالهم للسذج من الناس ممن يغلب عليهم الجهل، كان لزاماً تبيين أن ذلك فيه من الخطر العظيم على الإسلام والمسلمين؛ لما فيه من التعلق بغير الله تعالى، ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ. فكما يجوز التداوي اتفاقًا، وللمسلم أن يذهب إلى الطبيب ليشخص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعًا، فقد أنزل الله تعالى الداء وأنزل معه الدواء، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرمه عليهم. فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، ولا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به"[3].

وقد قال ابن القيم – رحمه الله - في هذا الشأن أيضاً: "إن من أنفع الأدوية، وأقوى ما يقاوم السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية؛ من الذِّكر، والدعاء، والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، معمورًا بذِكره، كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له. فسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثِّر في النساء والصبيان والجهال، ومن ضعُف حظُّه من الدِّين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبويَّة؛ لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلَّط على أرواحٍ تلقاها مستعدةً لما يناسبها"[4].

والسنة النبوية أكدت على حرمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة والسحرة، وحذرت من تصديقهم والتعامل معهم بأي شكلٍ من الأشكال، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هُرَيرة – رضي الله عنه – عَن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم[5]. فتصديق هؤلاء الكهنة الذين

---

[1]) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم 2228، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1991م، ص: (1750).

[2]) الباش، حسن، موقف الإسلام من السحر والخرافة، دار حطين للنشر والترجمة – دمشق، الطبعة الأولى – 1993م، ص(11).

[3]) ابن باز, عبدالعزيز بن عبدالله، السحر والخرافة، دار البشير للنشر والتوزيع – عمان، الطبعة الأولى – 1993م، ص(5، 6).

[4]) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص(100 – 101).

[5]) النيسابوري، أبو عبدالله محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية – 2002م، كتاب الإيمان، (49/1) رقم 15. قال: "حديث صحيح على شرطهما"، وقال الألباني: حديث صحيح.

يسعون وراء الشيطان من أجل هلاك وإفساد المجتمعات، هو إفساد للعقيدة الصحيحة، والتي تؤدي بدورها إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى.

ولهذا، حرمت الشريعة الإسلامية إتيان الكُهَّان في حالة قصد كهانتهم وسحرهم – وهذا هو الغالب دائماً – والنبي صلى الله عليه وسلم نهى كذلك عن إتيانهم وذلك في الحديث الذي رواه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي حَديثُ عَهْدٍ بجَاهِلِيَّةٍ، وقدْ جَاءَ اللَّهُ بالإسْلَامِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قالَ: فلا تَأْتِهِمْ، قالَ: ومِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قالَ: ذَاكَ شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فلا يَصُدَّنَّهُمْ، قالَ ابنُ الصَّبَّاحِ: فلا يَصُدَّنَّكُمْ)[1].

وللإمام الذهبي – رحمه الله – في مسألة السحر وتعليمه وتعلمه تفصيل وتوضيح وشرح عميق، وذلك لما تمثله هذه الظاهرة وتلك القضية من خطورة كبيرة على عقيدة الإنسان، بالإضافة كذلك إلى إفسادها للفطرة والمجتمعات البشرية المنتشرة فيها، حيث يقول ما ملخصه: "إنَّ الساحر لا بُدَّ أن يكفر؛ وذلك مصداقاً لقول اللهُ تعالى: ﴿وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ سورة البقرة: 102، وما للشَّيطانِ الملعونِ غَرض في تعليمِه الإنسانَ السحْر إلَّا لِيشرك به ... فترى خلقًا كثيرا من الضلالِ يَدخُلون في السحر ويَظنون أنَّه حرام فقط، وما يَشعرون أنه الكُفر، فيَدخُلون في تعَلم السِّيمياءِ وعَمَلِها، وهي مَحْض السحر، وفي عَقدِ المرءِ عن زوجته، وهو سِحرٌ، وفي محَبَّةِ الزَّوجِ لامرأتِه وفي بُغْضِها وبُغْضِه، وأشباهِ ذلك بكلماتٍ مجهولةٍ أكثَرُها شركٌ وضَلالٌ. وحدُّ الساحر القَتلُ؛ لأنَّه كَفَر باللهِ أو ضارَعَ الكُفرَ، ... فليتَّقِ العبد رَبَّه سبحانه وتعالى ولا يدخل فيما يخسَرُ به الدُّنيا والآخِرةَ"[2].

ومن هنا، فإن كل الأعمال المتعلقة بالسحر محرمة في جميع الأديان والشرائع السماوية. وذلك لأن الغاية الأساسية من تلك الأعمال السحرية إنما هي الخداع والكذب، ونصرة الباطل على الحق. فهؤلاء السحرة يخلطون الحق بالباطل ليلبسوا على عامة الناس حتى يصدقوهم في كذبهم وضلالهم، ولذا يقول الحافظ ابن حجر في هذا الأمر: "وتلك الأمور المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بأمورٍ مشتبهة مركبة من حقٍ وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم"[3].

فكيف لإنسانٍ عاقل أن يصدق هؤلاء السحرة الأفاكين، وأي حياة يمكن أن يحياها بعد كفره بالله والاستعانه بغيره، وتعلقه بالشياطين والسحرة طلباً في عونهم من دون الله، وأي رغبة يتمنى تحقيقها والوصول إليها من خلال السحرة وشياطينهم الأشرار، والحال أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن وصفهم وحالهم الخبيث في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ سورة الشعراء: 221 – 222 . ولهذا, فإنه يجب على الإنسان ألا ينخدع بما يتظاهر به أولئك الأفاكين المخادعين من الزهد والورع أو الذكر الذي يحاولون من خلاله إظهار خلاف ما يخفونه، إنما هو في حقيقته تلبيس بين يدي أعمالهم الكفرية لجر الناس إلى مستنقعهم الموحل، فمن صدقهم فيما يقولون كان داخلاً في الوصف الذي وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، رقم 537، ص (382).
[2]) الذهبي، الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد، الكبائر، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان للنشر – الإمارات، الطبعة الثانية - 2003م، ص(101- 104).
[3]) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري, مرجع سابق (196/10).
[4]) الفيفي، موسى محمد جابر، أحاديث السحر والرقية في الكتب الستة، رياض العلم للنشر - السعودية، بدون تاريخ ص(376).

الخاتمة

إن مما دفع الباحث لاختيار موضوع ورقته البحثية (ظاهرة السحر في تنزانيا: تعريفها، حقيقتها، أسباب انتشارها، أضرارها وعلاجها في هدي الإسلام) هو ما لاحظه من توغل هذه الظاهرة داخل المجتمع التنزاني وخطورتها على كافة أفراده بمختلف طوائفه. هذا الانتشارله العديد من الأسباب والعوامل التي أضرت بالمجتمع في شتى الجوانب الحياتية والأساسية المهمة بالنسبة له. فهؤلاء السحرة والمترددين عليهم بسبب حبهم للمال ورغبتهم في الوصول إلى شهواتهم – وهي من الأمور الخطيرة التي تدفع كلا الطرفين نحو هذا العمل الخبيث – يمكنهم التضحية بالغالي والنفيس في سبيل الوصول لتلك الغاية.

والحقيقة أن نظرة ورؤية المواطنين لظاهرة السحر على أنها أمراً طبيعياً وأنها لا تؤثر بأي شكلٍ من الأشكال على حياتهم، هو أمر غاية في الخطورة وربما كان ذلك سبباً وعاملاً مهماً من عوامل انتشار تلك الظاهرة داخل المجتمع التنزاني بهذه الصورة الخطيرة. كما أن ذلك الأمر هو نتيجة حتمية لغياب الثقافة والوعي داخل المجتمع التنزاني، وأنه أحد أهم العوامل الأساسية في انتشار ظاهرة السحر والشعوذة بين سكانه.

ولهذا، وبسبب افتقاد نسبة ليست بالقليلة من المجتمع التنزاني للثقافة بجميع عناصرها، نجد أن ظاهرة السحر تؤثر بشكلٍ سلبي على حياة المواطنين التنزانيين، حيث تجعلهم بعيدين تماماً عن التفكر، ومحاولة تنوير عقولهم إلى ما يفيد مجتمعهم ويهدف إلى تطويره وتقدمه. وكل ذلك بلا أدنى شك يؤدي إلى ضعف أثر الدين في نفوس الناس، كما أن ضعف الوازع الديني لدى هؤلاء وبعدهم عن تعاليم الدين الصحيحة، يدفع بهم إلى الوقوع في براثن السحرة وأعمالهم الشيطانية. وهذا الاعتقاد الكبير في السحر، يُنتج البدع والخرافات والأوهام، ويُقلل من قيمة الدين في المجتمع. ومن هنا تظهر الأسباب والآثار القوية لانتشار السحر، وعندئذٍ يحاول هؤلاء السحرة بشتى الطرق غرس بذور الفساد والإفساد بين أبناء المجتمع الغافلين عن الحقيقة الإلهية المضيئة.

النتائج والتوصيات: وقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج كما يلي:

- للسحر تأثير كبير في الحياة الاجتماعية بين الناس على مر العصور والأزمنة، وقد تجاوز تأثيره وضرره أي تأثير وقوة أخرى، الأمر الذي جعل البعض يساوون بينه وبين قوة الدين والعقيدة.
- من خلال أقوال العلماء حول حقيقة السحر يتبين أن للسحر مجالين للتأثير؛ أولهما: أن يكون تأثيره على العيون فقط من خلال الخداع والتخييل. ثانيهما: أن يكون تأثيره على العقول، والقلوب، والأبدان، والأموال، ويكون ذلك بأثر واقعي حقيقي، وليس تخييلاً وخداعاً.
- تسود المعتقدات السحرية والأفعال الشيطانية في الكثير من الأوساط الشعبية داخل المجتمع التنزاني، على الرغم مما تسببه من أضرارٍ مادية ومعنوية على كافة أطيافه وفئاته.
- أن السحر وتعليمه وتصديقه حرام بإجماع العلماء مستندين في ذلك إلى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحرم بشكلٍ قاطع كل تلك الممارسات والمعتقدات الباطلة. وفي هذا حماية للمجتمعات بأسرها من انتشار مثل هذه المفاسد والمنكرات المهلكة للبشرية.
- أن الأضرار الناجمة عن السحر لا يمكن أن تحدث أو تصيب الإنسان إلا بإذن الله وإرادته.

- الأحاديث النبوية والروايات، والأخبار الواردة عن السلف الصالح، وآراء العلماء حول حقيقة السحر وهؤلاء السحرة يظهر من جميعها كذب وافتراءات السحرة والكهان والمنجمين ومن على شاكلتهم.

ولهذا فإن الباحث يوصي بتقوى الله سبحانه في حياتنا وأفعالنا، وأن نعلم ونتيقن أن الغيب لله وحده، وأن الضار والنافع هو الله؛ فالسعادة كل السعادة في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والسير وفق نهجه وطريقه عليه السلام، واتباع ما أثر عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

كما يوصي الباحث بمحاربة ظاهرة السحر والمعتقدات الباطلة التي تفسد المجتمعات وتلحق الأضرار بأبنائها، وأن تضرب الحكومات وجميع المؤسسات بيدٍ من حديد وبدون شفقةٍ أو رحمة على كل من تسول له نفسه ممارسة تلك الأفعال أو المساعدة في نشرها. بالإضافة كذلك إلى ضرورة التنبيه على خطر هؤلاء السحرة، وتحذير الجميع منهم ومن فسادهم، وبيان حقيقتهم لمن يجهلها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله: فتاوى نور على الدرب، تحقيق: محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض، الطبعة الأولى – 2007م.
- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله: السحر والخرافة، دار البشير للنشر والتوزيع – عمان، الطبعة الأولى – 1993م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، دار الكتاب العلمية – بيروت، 2003م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي: المحلى بالآثار، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.
- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد: حاشية كتاب التوحيد، مكتبة نور للنشر، الطبعة الثالثة - 1408هـ.
- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زهير الشاوش، المكتب الإسلامي للنشر – بيروت، الطبعة الثالثة – 1982م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية: التفسير القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، 1978م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية: بدائع التفسير – الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولى – 427هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية: الطب النبوي، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى - 2006م.
- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية – دمشق، الطبعة الأولى – 2009م.
- الأزهري، محمد أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق عبدالكريم العزباوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة, الطبعة الأولى – 1967م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى – 1415هـ.
- أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة، الطبعة الرابعة – 2004م.
- الباش، حسن: موقف الإسلام من السحر والخرافة، دار حطين للنشر والترجمة – دمشق، الطبعة الأولى – 1993م.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة – بيروت، الطبعة الأولى – 2002م.
- جعفر، محمد محمد: كتاب السحر، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، الطبعة الأولى – 1958م.
- الذهبي، الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد: الكبائر، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان للنشر – الإمارات، الطبعة الثانية - 2003م.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 2000م.
- سلسلة إفريقيا الأخرى: التقرير الثاني من سلسلة إفريقيا الأخرى لقناة العربية الفضائية بعنوان: فريق العربية في وكر مشعوذة في تنزانيا، نشر بتاريخ 2018/10/22م.
- السكري، عبدالسلام عبدالرحيم: السحر بين الحقيقة والوهم في التصور الإسلامي، دار الكتب الجامعية الحديثة – طنطا، مصر، الطبعة الأولى – 1987م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد: أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولى - 1996م.
- الطبري, محمد بن جرير: جامع البيان تفسير القرآن، دار الفكر للنشر – بيروت، الطبعة الأولى - 1978م.
- الفارابي، اسماعيل الجوهري: معجم الصحاح، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث للنشر – القاهرة، الطبعة الأولى – 2009م.
- الفيفي، موسى محمد جابر: أحاديث السحر والرقية في الكتب الستة - رواية ودراية، رياض العلم للنشر - السعودية، بدون تاريخ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية – 1935م.
- القزويني، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد: صحيح سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى - 1997م.
- مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج:صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1991م.
- النقيرة، محمد عبدالله: انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر – الرياض، الطبعة الأولى – 1982م.
- النيسابوري، الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد:المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية – 2002م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين: المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية - 1392هـ.

- MESAKI, SIMEON, WITCHCRAFT AND THE LAW IN TANZANIA: RESEARCH PUBLISHED IN THE DEPARTMENT OF SOCIOLOGY AND ANTHROPOLOGY, UNIVERSITY OF DARES SALAM, TANZANIA, NOVEMBER 2009AD.
- RICHMOND, AMY NICHOLS-BELO, UCHAWI UPO: EMBODIED EXPERIENCE AND ANTI-WITCHCRAFT PRACTICE IN MWANZA, TANZANIA, THE DEPARTMENT OF ANTHROPOLOGY, GRADUATE FACULTY, UNIVERSITY OF VIRGINIA, MAY 2014.